تحت منبر

الإمام الجواد عليه السلام

١

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ

صدق الله العلي العظيم

سورة الأنبياء/ الآية ٧٣

المقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرضين بارئ الخلق أجمعين وافضل الصلاة وأتم التسليم على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

الكمال محبوب ومرغوب عند الإنسان، وهو يهفو إليه، ولا تجد إنساناً ينفر ويحيد عن الكمال أو لا يرغب بالمكرمات والفضائل النفسية أو يشيح بوجه عن المثل العليا, وانما هو وجهة كل إنسان سوي، فلو تركنا الإنسان بلا أي مؤثر خارجي تجده يميل ويبحث عن الكمال وينشده في أي مكان وينقب عنه إن سبقه في زمان، ومن رحمة الله ولطفه بعباده أن أظهر لخلقه وعرّفهم محال الكمال وا لجمال وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، قال عز و جل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

فهو جل وعلا يقول للمؤمنين إن لكم في إبراهيم و من معه من الأنبياء والأولياء، اقتداءٌ بهم، فإنّ وجود القدوة في حياة البشر مؤثّر في توجيههم و تربيتهم، و لهذا السبب فإنّ النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، وبقية الأنبياء الكرام عليهم السلام كانوا موضع هداية البشرية من خلال أعمالهم والتزاماتهم، وذلك لأنهم معصومون عن الخطأ، والخطأ هو النقص الذي تنفر منه النفوس و لهذا السبب فإنّ العصمة شرط أساسي . كما هومقرر في علم الكلام. لكل الأنبياء و الأئمة عليهم السلام كي

يكونـوا لنا أسـوة و قدوة في جميع المجالات، وهذه الأسـوة إنما تكـون لمن يطمع في الخير، وعليه فـإن تحصيل الكمال لا يكون إلا باتباعهم عليهم السلام، فهذه المحال المقدسة هدفها كما هومنصوص عليه في الكتاب والسنة أمور.. هي أجمالاً:

أولا: التربية والتعليم، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ﴾

ثانيـا: كسـر الأغلال و القيود التي أسّـرت الإنسـان، كما قال تعالى:

﴿وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾

ثالثا: إكمال القيم الأخلاقية والروحية، كما جاء في الحديث المشهور «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

رابعا: إقامة القسط و العدل، قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

وفي بحثنـا هـذا نسـلط الضـوء علـى بعـض كلمـات المحـل القدسـي شـبيه عيسـى ويحيى عليهما السلام الإمام التاسـع محمد بن علـي الجـواد عليه السلام لعلنا نوفق لتهذيب أنفسـنا وأصـلاح عيوبنا فنتدرج في مدارج الكمال شيئا فشيئا.. والله الموفق.

التوكل

قال الإمام التقي محمد الجواد عليه السلام: «كيف يضيع من الله كافله؟ وكيف ينجو من الله طالبه؟ ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح»[1].

إن العقل والوجدان اللذان يحكمان بأن الله الخالق المتعلق به كل شيء والذي لايعزب عن علمه شيء يحكمان بأن الانقطاع والتوجه إليه بكل حاجة وطلب هو صلب الحق ويقينه، فالثقة بالله والتوكل عليه صفة الثابت العارف، وأما المتزلزل الجاهل فيعتقد أن هناك من يتدخل في ربحه أو خسارته، في عطائه أو في منعه فيتوسل بأسباب يعتقدها مؤثرة من دون الله عز وجل ولكنه لو أمعن النظر في كتاب الله لوجد الآيات القرآنية الكريمة تصرح بأنه لا مؤثر في الوجود غير الله، وقد حدثنا القرآن عن المواجهة التي حصلت بين نبي الله ابراهيم عليه السلام وبين

(١)أعلام الدين في صفات المؤمنين ص٣٠٩

الطاغية نمرود الذي ادعى أنه رب وله القدرة على الأحياء والإماتة، وكيف كانت النتيجة النهائية بانتصار هذا النبي العظيم عليه السلام، وكيف كان توكله على الله سبحانه وتعالى، جاء في بيان التنزيل لابن شهرآشوب: قال: أمر نمرود بجمع الحطب في سواد الكوفة عند نهر كوثا من قرية قطنانا وأوقد النار فعجزوا عن رمي إبراهيم فعمل لهم إبليس المنجنيق فرمي به، فتلقّاه جبرائيل في الهواء فقال: هل لك من حاجة؟ فقال عليه السلام: «أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل»، فاستقبله ميكائيل فقال: إن أردت أخمدت النار فإنّ خزائن الأمطار والمياه بيدي، فقال: لا أريد، وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيّرت النار، قال: لا أريد، فقال جبرائيل: فاسأل الله! فقال: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»[1].

وتأكيداً على مسألة التوكل ننقل هذا الحديث، روى علي بن سويد عن أبي الحسن الأول [موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: " ومن يتوكل على الله فهو حسبه فقال: «التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضيا، تعلم أنه لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم أن الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها»[2].

---

(١) نقلا عن بحار الأنوار ج٦٨ص١٥٥

(٢) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١٤ - ص ١٤٥

الفطرة

علي بن محمد، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعا، عن أبي هشام الجعفري قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام: ما معنى الواحد؟ فقال: «إجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله تعالى: ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »[1].

إن الاعتقاد بوجود الخالق سبحانه وتعالى أصل مشترك في جميع الديانات السماوية، وهو أيضا الأساس في اعتقاد جميع الديانات الوثنية وإن اختلفوا فيما بينهم وبين أهل الديانات السماوية في التسمية والصفات له جل وعلا، والكتاب الحكيم يطرح مسألة وجود الله على أنه أمر مسلّم واضح غني عن الاستدلال وينظر إلى قضية الشك أو التردد أمر مرفوض،

قال تعالى:

---

(١)الكافي ج١ ص١١٨

﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

لأن ذلك لا يقوم إلا عن انحراف في فطرة الإنسان بسبب المغالطات في القضايا البديهية التي لا يختلف في ثبوتها أي عاقل، ولسعة رحمته تبارك وتعالى بعباده أفصح عن طرق تزيل جميع الشكوك والاحتمالات، ومنها نداء الفطرة الإنسانية، فالنفس مجبولة على الإذعان بوجوده وتوحيده حتى أن الجاحد أو المعاند لو ترك اللجاجة والعناد يرى نفسه مذعنة بذلك، فهو إن تذكر اضطراره واحتياجه في الشدائد أو الأمر المخوف التجأ إلى القادر المنجي، ومن خلال هذا الدليل أوضح الإمام عليه السلام للسائل على ما هو مركوز في فطرته حيث أن المقرّين بالله والمنكرين يتوجهون إلى ربهم عند البأساء والضراء ولذلك ترى الوحي الإلهي في خطابه ينسجم مع الفطرة الإنسانية يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[1].

إن في ظهور الشدائد تنجلي عن النفس كل الحواجز وأستار الغفلة والتقليد وا لجمود الملتصقة على الفطرة الإنسانية فينكشف نور الفطرة في زمن ينقطع الإنسان عن جميع الآلهة المتوهمة التي أوجدها في خياله أو التي صورها بشكل تماثيل

(١) الاسراء-٦٧

خارجية حسية، ولا يبقى سوى الخالق الحق تبارك وتعالى، وهذا الالتجاء والتعلق نبّه عليه الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله رجل عن الله وقد كثرت على السائل الأقوال والآراء فقال للسائل: «يا أبا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك؟ قال: بلى، فهل تعلق قلبك هناك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حين لا مغيث»[١]، أشار الإمام عليه السلام إلى أن الفطرة أصل العلم، فالاستدلال لا ينفع ما لم تكن الفطرة باقية بحالها، فالكافر إنما يكفر لانحراف فطرته بتقليد الآباء والتعصب لما عند جمعه عنهم من العقائد والآراء ثم الغفلة عن فحص الحق وطريقه، ولهذا ورد في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[٢]، ومع ذلك أصل الفطرة باقية لا تزول لأنها عجينة الذات، وتظهر نوريتها في بعض الأحيان على القلب وتدعو إلى الحق ببعض التنبيهات الفطرية، «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»[٣] ولذلك لا يقبل عذرهم بأن آباءهم كانوا كافرين أو أنهم كانوا غافلين، قال تعالى:

---

(١) البحار ج٨٩ ص٢٤٠

(٢) شرح الأخبار ج١ ص١٩٠

(٣) بحار الأنوار ج٦٨ ص٢٢١

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١)

وعن زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: «حنفاء لله غير مشركين به» وعن الحنيفية، فقال: «هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله، وقال: فطرهم الله على المعرفة»، قال زرارة: وسألته عن قول الله عز وجل: «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم - الآية» قال علية السلام: «أخرجَ من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر، فعرفهم وأراهم صنعه، ولو لا ذلك لم يعرف أحد ربه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة،يعني على المعرفة بأن الله عز وجل خالقه، فذلك قوله: ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله»(٢).

---

(١) الأعراف ١٧٢

(٢)التوحيد للصدوق ص٣٣٠

حرم الله

قال الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام: «القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال»[١].

يجب علينا ان نعلم أن الله تعالى يجلّ وينزه عن المكان والزمان، والحلول والاتحاد، أو غيرها من الصفات التي تستلزم النقص، وأما اتصاف بعض الأمكنة بكونها بيوتا لله تعالى، إنما هو تشريف منه جل وعلا لها، حيث جعلها الله تعالى محلا للعبادة، أو لكثرة العبادة فيه، أو الأمر بالتوجه إليها حين العبادة، أو كونها محاذية لمحل عبادة، أو لنزول فيض خاص، فيخلص فيها القصد إلى الله، كما اجتمع ذلك كله في مكة المعظمة، وفي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وهي بيوت محمد وآل محمد، وهذه كلها بيوت الله ظاهرا، وأما البيت الباطني فهو ما جاء ذكره في الحديث القدسي: «لا تسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[٢]،

(١) البحار ج٧٥ص ٣٦٤.

(٢)عوالي اللئالي ج٤ص٧

وروي أيضا أن: «القلب حرمُ الله تعالى، فلا تسكنوا حرم الله إلا الله تعالى»[١]، وهذا الحرم يفسد بأمور منها:

اتباع الهوى: قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

وسوسة الشيطان: قال تعالى:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣]

الإخلاد إلى الأرض: وهو التعلق بالدنيا الدنية قال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

---

(١)بحار الأنوار ج٦٧ص٣٥

(٢) الجاثية - ٢٣

(٣) الأعراف - ١٦- ١٨

(٤)- الأعراف - ١٧٦

العصيان: قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١)

وقال عز وجل:

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٢).

نقض الميثاق: قال جل ذكره:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (٣).

وأما صلاحه فيكون بخلاف تلك الصفات، فكل قلب لم تكن فيه سوى محبة الله تعالى وذكره فهو بيت الله تعالى حقا.. فقلب المؤمن الكامل بيت الله حقيقة، لأنه خالٍ عن التعلق بغيره.

---

(١)- النساء - ١٤

(٢)- الجن - ٢٣

(٣)- المائدة - ١٣

الحاجة إلى الله

علي بن محمد، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد ولقبه شباب الصيرفي، عن داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لابي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: «السيد المصمود إليه في القليل والكثير»[1].

للصمد معانٍ كثيرة، منها الكبير الذي هو في منتهى العظمة، ومن يقصد إليه النّاس بحوائجهم، ومن لا يوجد أسمى منه، ومن هو باق بعد فناء الخلق، ونحن سنشير إلى معنيين للصمد المعنى الأول الذي أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يروي ابنه محمد بن الحنفية قال: قال علي عليه السلام تأويل الصمد: «لا اسم ولا جسم، ولا مثل ولا شبه، ولا صورة ولا تمثال، ولا حدّ ولا حدود، ولا موضع ولا مكان، ولا كيف ولا أين، ولا هنا ولا ثمّة، ولا ملأ ولا خلأ، ولا قيام ولا قعود، ولا سكون ولا حركة، ولا ظلماني ولا نوراني، ولا روحاني ولا نفساني، ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع، ولا على لون، ولا على خطر قلب، ولا

(١)الكافي ج١ ص١٣٣/ توحيد الصدوق ص٩٤

على شمّ رائحة، منفي عنه هذه الأشياء»[١]، فهو عليه السلام ينفي عن الساحة الإلهية كل أوصاف الموجودات الممكنة سواء كان من عالم الماديات وخواصها من الحدود والأمكنة والأزمنة والانقسام أو من عالم المجردات، فهو أعظم وأجل من أن تقع الأوهام على صفته أو تدرك كنه عظمته، لا ما ذهبت إليه المشبّهة من أن معنى الصمد هو المصمت الذي لا جوف له، وهو صفة الأجسام الصلبة التي لا فراغ محسوس بين جزئياتها مثل الحصى والحديد والنحاس وغيرها، فهو تفسير باطل ساقط مردود بصريح القرآن يقول سبحانه وتعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]

وبصريح نص المعصوم يروي الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه الباقر عن أبيه عليه السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد فكتب إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله سبحانه قد فسر الصمد فقال: الله أحد الله الصمد، ثم فسره فقال: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، لم يلد، لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس،

(١)بحار الأنوار ج٣ ص٢٣٠

(٢) الشورى - ١١

ولا يتشعب منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف، ولم يولد، لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار، ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتميز من القلب وكالنار من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفوا أحد»[١].

من هذه الرواية نفهم أن الصمد منفي عنه التوالد بأي معنى كان، فالتوالد هو خروج شيء من شيء سواء كان هنالك مشابهة بينهما كالإنسان يلد إنساناً أو الفرس تلد فرساً أو الأسد وغيرها أم لم تكن مشابهة بينهما كالنباتات من الأرض أو النار من الحجر وهذا المعنى يصدق على المادة وعوارضها، تقدس البارئ عنها.

المعنى الثاني: الصمد هو كونه مرجوعا إليه في الحوائج كلها

(١) توحيد الصدوق ص٩١

قليلها وكثيرها، حقيرها وكبيرها والأحق بهذا الاسم هو القادر الغني عن الغير من كل وجه، وأما إطلاقه على غيره إنما هو على سبيل المجاز دون الحقيقة، إذ كل سيد مصمود مقصود في الحوائج سواه فهو في دائرة الحاجة إلى الغير، فليس مصمودا إليه في الجميع إلا هو جل وعلا، والفطرة الإنسانية إذا سلمت من الوهم لم تنفك من أن تشاهد فقرها واحتياجها إلى أمر خارج عنها، وكذلك احتياج كل الموجودات سواه مما يقع عليه الحس أو الوهم أو يعقل العقل، فكلها تقف عنده في صف الحاجة، فالنفس مذعنة بوجود موجود منه بدأ الجميع وإليه ينتهي ويعود، وأنه لم يهمل دقيقة من دقائق ما يحتاج إليه الخلق، «وإذا كان الله تعالى هو الموجد لكل ذي وجود مما سواه يحتاج إليه فيقصده كل ما صدق عليه أنه شيء غيره، في ذاته و صفاته و آثاره قال تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (١)

و قال وأطلق تعالى:

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (٢)

فهو الصمد في كل حاجة في الوجود لا يقصد شيئاً إلا وهو الذي ينتهي إليه قصده و ينجح به طلبته و يقضي به

(١) الأعراف ٥٤

(٢) النجم ٤٢

حاجته»[١]، أساس النعم كلها منه فهو الذي يخلق ويبدع ويحفظ وهو الذي يسئل فيجيب، ويقصد فلا يعجزه طلب وهو معقد الرجاء وهو المدبر الذي لا يشغله شأن عن شأن ولا حاجة عن حاجة ولا دعاء عن دعاء وهو المطلوب في الأرض والسماء، ولا تطلب الحوائج حقيقة إلا منه، فالأمر كله له.

وما روي عن الباقر عليه السلام: «الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر و ناه»[٢]، وعن الإمام الحسين عليه السلام: «الصمد الذي لا جوف له، والصمد الذي قد انتهى سؤدده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد الذي لا ينام، والصمد الدائم الذي لم يزل و لا يزال»[٣]، وعن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «الصمد الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضدادا وأشكالا وأزواجا وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند»[٤]، فهذه المعاني المذكورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كلها تلازم المعنى الذي ذكره إمامنا أبو جعفر ا لجواد عليه السلام وذلك لأنها لوازم كونه تعالى مقصودا يرجع إليه كل شيء في كل حاجة ومقصد.

---

(١) تفسير الميزان ج٢٠ ص٣٨٨

(٢) التوحيد للصدوق ص٩٠

(٣) التوحيد للصدوق ص٩٠

(٤) التوحيد للصدوق ص٩٠

الإسلام وأهله

عن أحمد بن محمد، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام عن أبيه، عن جده صلى الله عليه وآله قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نورا وجعل له حصنا وجعل له ناصرا فأما عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة ثم هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمتي، فمؤمنو أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة، ألا فلو أن الرجل من أمتي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضا لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلا عن النفاق»[1].

(١) الكافي ج٢ ص٤٦ / وسائل الشيعة ج١١ص١٤٢/جامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص١٤٢

الإسلام هو التسليم لله وحده ونفي كل الشركاء عنه ويكون ذلك باتباع نهج الذين أُمرنا باتباعهم، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[١]

فهو دين الله الذي اصطفاه لنفسه وطريقه الوحيد في الوصول إليه ونهجه المتفرد بالإخلاص بالعبودية إليه، ونبذ كل الآلهة وتحطيمها من النفس، ولا يكون إلا بنوره وأسّه، ونوره وأسّه الذي لا يقوم إلا به هو القرآن، ففي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يبين للناس عن بعث النبي الخاتم صلى الله عليه وآله ذكر القرآن وصفته فقال: «أرسله على حين فترة من الرسل و طول هجعة من الأمم و انتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، ألا أن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم حالكم»[٢]، فالقرآن فيه علم كل ما يكون في مستقبل الأيام منذ زمن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى آخر يوم في الحياة الدنيا، وفيه ما كان من سابق الأيام وما فيها موجود فيه، ولذا نقول إن القرآن جامع أحوال الأمم السالفة والقرون

---

(١) النساء ٥٩

(٢) نهج البلاغة ج١ ص١٥٦

الماضية والأمم اللاحقة والقرون الآتية – إذا شاء ربنا بذلك– وفيه كل ما يحتاج إليه بنو آدم والخلائق أجمعون مسترشدين بقوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١)

وفي خطبة أخرى يوضح علاقة القرآن بالإسلام حيث يقول: «فالقرآن آمر زاجر، و صامتٌ ناطقٌ، حجة اللّه على خلقه، أخذ عليهم ميثاقهم، و ارتهن عليهم أنفسهم، أتمّ نوره، و أكمل به دينه، و قبض نبيه صلى الله عليه وآله، و قد فرغ إلى الخلق من إحكام الهدى به»، ويقول عليه السلام في غيرها: «ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي و المنهاج البادي والكتاب الهادي، إلى أن يقول عليه السلام: أرسله بحجة كافية و موعظة شافية و دعوة متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة و قمع به البدع المدخولة و بيّن به الأحكام المفصولة فمن يبتغ غير الإسلام دينا تتحقق شقوته و تنفصم عروته و تعظم كبوته ويكن مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل»(٢)، فهذا هو القرآن عرصة الإسلام والقاعدة التي بُني عليها الإسلام والمحور الذي تتمحور أصوله وفروعه وآدابه عليه، فهذا الحديث الذي رواه الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام

(١) النحل ٨٩

(٢) نهج البلاغة ج٢ ص١١١

عن جده الأعظم محمد صلى الله عليه وآله يُشَبّه به الإسلام بإنسان يدور في أرض خالية من أي شيء فلا بناء ولا غيره، فيقصد النبي صلى الله عليه وآله بهذا البيان القائم على التشبيه ويشير إلى أن أساس الإسلام وعرصته ونوره وحجته القرآن خالٍ من أي أطروحة وفكر وثقافة وتوجيه وعقيدة ليست إلهية، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢)

وأما نوره الذي يستضيء به فالحكمة، وهي إتقان وإحكام العلم أو العمل بحيث لا يكون في علم المسلم أو عمله نقص، وبالحكمة يتمكن الفرد المسلم من التمييز والتفريق بين كل داع وناطق إلاَمَ يرمي هذا الداعي أو الناطق، ولها التأثير الواضح في طهارة القلب، وهي الموعظة الحسنة للنفس قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحكمة ضياء المعرفة، وميراث التقوى، وثمرة الصدق، وما أنعم الله على عبد من عباده نعمة أنعم

(١) النساء ٨٢
(٢) غافر ٧٨

وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة قال الله عز وجل: يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب. أي لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسي وخصصته بها، والحكمة هي الثبات، وصفة الحكيم الثبات عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله تعالى، قال رسول الله لعلي: لأن يهدي الله على يديك عبداً من عباد الله خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها إلى مغاربها»[1].

والحكمة تأثيرها واضح وجليّ في سلوك الفرد حيث تدعوه إلى أن يكون له دور إيجابي في بناء المجتمع المسلم والاهتمام بأفراده بإرشادهم إلى طريق الحق والصلاح وتحمل هموم الآخرين ورفع كاهل الاحتياج عنهم، فيتحصن المجتمع من كل المخاطر المحيطة به، ويتفرع ويتكون عنها الاهتمام بشؤون المجتمع التكافل الاجتماعي الذي يكون به الفرد المسلم عضداً لأخيه المسلم، فإن ازداد الارتباط فيما بين أفراد المجتمع وبُذل النصح وساعد غنيُّهم فقيرَهم؛ تطهّر المجتمع من الرذائل الأخلاقية من البخل وحب الدنيا وحب الرئاسة والتسلط والخداع والمداهنة، وتحلت أفراده بالحب والكرم والسخاء ورعاية حقوق الآخرين مادياً ومعنوياً، فيكون المعروف حصن الإسلام الذي قاله الإمام الجواد عليه السلام عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله

(١) بحار الأنوار ج١ ص٢١٦.

أما أنصاره الذين قام بهم الإسلام فأولهم وأكرمهم.. أعظمهم على الله رسول الله صلى الله عليه وآله والناصر الثاني أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ولكن من هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله؟ هل يشمل هذا المصطلح كل زوجاته وذريته وأقاربه سواء كانوا من بني هاشم عامة أو من أولاد عبد المطلب خاصة؟ وحتى لا تذهب بالناس المذاهب، ولا يدخل في عنوان أهل البيت مَنْ أخرجه الله منه، فإن أوضَح مصداق أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها قائلةً: «نزلت هذه الآية في بيتي: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، فقلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ فقال: «أنت على خير إنك من أزواج النبي» وفي البيت علي، وفاطمة، والحسن، والحسين»[(١)]، وهي إشارة منه صلى الله عليه وآله أن أزواجه الموجودة عنده في ذلك الوقت لا تدخل في هذا العنوان، ورواية أخرى عنها رضي الله عنها تصرح بأن أزواج النبي صلى الله عليه وآله خارجات من هذا العنوان تقول فيها: «نزلت هذه الآية في بيتي: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، يعني في سبعة جبرئيل، وميكائيل، ورسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام وأنا على باب البيت، فقلت: يا رسول الله ألستُ من أهل البيت؟ قال: إنك من أزواج النبي، وما قال: إنك من أهل البيت»[(٢)]، وهذا تصريح من زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أم سلمة بأنها ليست من أهل البيت مما يدلل

(١) مشكل الآثار ج٢ ص٣٦٤

(٢) مشكل الآثار ج٢ ص٣٦٤

على أن عنوان الزوجية لا يدخل أي من أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وذكر الطحاوي في كتابه هذا بعد أن أسند حديث عن أبي معاوية البجلي، عن عمرة الهمدانية قالت: «أتيت أم سلمة فسلمت عليها فقالت: من أنت؟ فقلت: عمرة الهمدانية، فقالت عمرة: يا أم المؤمنين أخبريني عن هذا الرجل الذي قتل بين أظهرنا فمحب ومبغض- تريد علي بن أبي طالب - قالت أم سلمة: أتحبينه أم تبغضينه؟ قلت: ما أحبه ولا أبغضه، فقالت: أنزل الله هذه الآية: إنما يريد الله إلى آخرها وما في البيت إلا جبرئيل ورسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم، وعلي، وفاطمة، وحسن، وحسين، فقلت: يا رسول الله، أنا من أهل البيت؟، فقال: إن لك عند الله خيرا، فوددت أنه قال: نعم، فكان أحب إليّ مما تطلع عليه الشمس وتغرب»[١].

إن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله لم تكن داخلة في عنوان أهل البيت عليهم السلام الذين أرادهم الله، قال: « فدل ما روينا في هذه الآثار مما كان من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى أم سلمة مما ذكر فيها لم يرد به أنها كانت ممن أريد به مما في الآية المتلوّة في هذا الباب، وأن المرادين بما فيها هم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي، وفاطمة، وحسن، وحسين عليهم السلام دون من سواهم »[٢]، وهذا الحكم يجري على بقية أزواج النبي اللائي كنّ

(١) مشكل الآثار ج٢ص٢٦٩
(٢) مشكل الآثار ج٢ص٢٦٩

موجـودات في زمن نـزول الآية المباركة، وذلـك لأن ارتباط بقية زوجاته نفس ارتباط السيدة أم سلمة فالحكم فيهن واحد.

أما شيعتهم ناصري الإسلام فهم من تحلّوا بما وصفه الإمام الباقـر عليه السلام لجابـر بـن يزيـد ا لجعفي حيث قـال له: «يـا جابر أيكتفي من ينتحل التشـيّع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شـيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والـبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسـكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسـن عـن النـاس إلا من خير، وكانوا أمناء عشـائرهم في الأشـياء»، قـال جابر: فقلت: يا ابن رسـول الله ما نعـرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: «يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقـول: أحب علياً وأتولاه ثـم لا يكون مع ذلك فعالاً؟ فلو قال: إنـي أحب رسـول الله فرسـول الله صلى الله عليه وآله خير مـن علي عليه السلام ثم لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أحب العباد إلى الله عـز وجل [وأكرمهم عليه] أتقاهـم وأعملهم بطاعته، يا جابـر والله مـا يتقرب إلى الله تبـارك وتعـالى إلا بالطاعة وما معنا براءة النار ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»[١].

---

(١) الكافي ج٢ ص٧٤

ما أروعه من حديث، جامع مانع.. وضع فيه الإمام المعيار الأوفى لنقيس أنفسنا به ولنعلم من خلاله في أي حزب نحن.. حزب الحق ام حزب الباطل، فلنفهرس هذا النص المعصومي لصفات الشيعة مع إشارة إجمالية لبعض الصفات المذكورة:

التقوى: والمتقين هم أهل السلوك السليم إلى طريق الهدى وهم العقلاء الحقيقيون ذوو الألباب الذي ما زال القرآن يخاطبهم ويعيرهم اهتماما بالغاً، والتقوى سيدة الأخلاق ولا يقوم الإيمان إلا بها، ولا تستقيم أحوال المؤمن إلا بها، وحتى يحصل الإنسان على ملكة التقوى يجب التحلي بصفات كثيرة منها، اجتناب الذنوب ومخالفة الهوى لأن من ركب هواه أطاعه ولا تجتمع طاعة الله وهوى النفس، قال تعالى ناهياً داود عليه السلام حين جعله خليفة في الأرض، قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١)

وهو تحذير عام شامل لكل مكلف، ومن الصفات أيضاً تخلية النفس من الرياء والسمعة، وعدم ا لجدال والمراء إلا لدفع باطل وإثبات حق، وإصلاح السريرة مع الله، وترك المتشابهات -لأن مَن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه- والعمل بالأمور الواضحات.

(١) سورة ص ٢٦

التواضع: صفة نفسانية تمنع صاحبها من الترفع عن الناس أو التعالي عليهم، وهي قيمة إنسانية عظيمة ترسخ بالعلم والمعرفة الحقة، وبه ينال الإنسان أعلى المراتب عند الله عز وجل، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام: أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا ربّ، ولم ذاك؟ قال: فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى، إني قلّبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك، يا موسى، إنّك إذا صلّيت وضعت خديك على التراب، أو قال: على الأرض»[1].

الخشوع: رمي البصر إلى الأرض وسكون الصوت وخضوع البدن بسبب استشعار مَنْ يُخضَع له حقيقة، والخشوع صفة الأنبياء المميزة الدائمة الممدوحة عند الله، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2].

وصفة السائرين إلى الله المراقبين له في كل حالاتهم.

الأمانة: تعتمد المجتمعات الواعية في بنائها على قواعد ضرورية في أصول التعامل، وأول تلك الأصول وأهمها، هو

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ص١١

(٢) الأنبياء ٩٠

أصل الثقة المتبادلة بين أطراف المعاملة والتي نطلق عليها صفة الأمانة التي حرصت كل الرسالات السماوية على تثبيتها وجعلها نقطة انطلاق للتعاملات والتعاقدات المعنوية أو حتى المادية، قال إمامنا الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر»[١]، وقد كان النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام مستمرين في التأكيد على هذه الخصلة المهمة لمواليهم قال إسماعيل بن عمار: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أوصيك بتقوى الله والورع، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن ا لجوار، وكثرة السجود، فبذلك امرنا محمد»[٢]، بل كانوا يُعرّفون هذه الخصلة بأنها الأصل في الانتماء لهم والانضواء تحت رايتهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس منا من يحقر الأمانة وليس منا من خان مسلماً في أهله وماله»[٣].

كثرة ذكر الله: وهو معنى شامل للصلاة والصوم وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل والصلاة على محمد وآله، قال زيد بن صوحان لأمير المؤمنين عليه السلام: «أي الكلام أفضل عند الله؟ قال: كثرة ذكر الله، والتضرع إليه والدعاء، قال: فأي القول أصدق

(١) البحار ج١١ ص٦٧
(٢) مشكاة الأنوار ص٤٩
(٣) الاختصاص ص٢٤٨

قال: شهادة أن لا إله إلا الله»[(١)]. والذاكر الحقيقي هو المتوجه إلى ربه بقلبه ولسانه.

بر الوالدين: من أعظم الصفات المقربة إلى الله سبحانه وتعالى، وهي من أدوات السعادة وزيادة العمر ودفع ميتة السوء، ولعظمتها ذكرها القرآن الكريم من مزايا النبي عيسى عليه السلام وأوسمته قال تعالى على لسانه عليه السلام:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[(٢)]

وذُكرت هذه الميزة لنبي آخر وهو يحيى عليه السلام:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[(٣)]

وبملاحظة الآيتين الشريفتين نجد أن هناك مقابلة بين البار والجبار حيث أن صفة الثانية لا تجتمع مع الأولى على وجه الاستحالة وهي صفة أهل النار، والمتتبع للروايات في موضوع البر يجد العجب العجاب في فضله وكثير بركته وحسن مآب فاعله، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «رقودك على السرير إلى جنب والديك في برهما أفضل من جهادك بالسيف في سبيل الله»[(٤)].

(١) البحار ج ٩٠ ص١٥٦
(٢) مريم٣٢
(٣) مريم ١٤
(٤) جامع الأخبار ص٢١٣.

تعاهد أهل الحاجة: من خلال حب الإنسان لله سبحانه وتعالى فإنه يحب عباده المؤمنين، فالمؤمن يتعاهد عباد الله إكراماً لله وشكراً للأنعم الموهوبة إليه من ربه المحيطة به، وقد وردت أحاديث كثيرة توضح أهمية مساعدة الفقراء وا لمحتاجين من المؤمنين وقد اعتبر الله الإنسان المعين للعباد من أفضل عباده وأحبهم وأقربهم إليه، قال الإمام الصّادق عليه السلام قال: «إنّ لله عباداً من خلقه في أرضه يفزع إليهم في حوائج الدنيا والآخرة، أولئك هم المؤمنون حقّاً، آمنون يوم القيامة، ألا وإنّ أحبّ المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه، ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين»[1].

صدق الحديث: في الصحيح عن أبي كهمس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرؤك السلام، قال: عليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام، وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله فألزمه، فإن عليا عليه السلام إنما بلغ ما بلغ عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة »[2]، ويكفي في مقام الصادقين أن الله سبحانه قال فيهم:

﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

(١) البحار ج٧٥ ص ٢٦١
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٤

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١)

وقال عزّ من قائل:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)

هذه بعض الصفات التي يتحلى بها شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والتي يجب المحافظة عليها وإحياء معانيها إذا ما أردنا النجاة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.. إلا من أتي الله بقلب سليم.

---

(١)- سورة المائدة - ١١٩

(٢)- سورة الزمر ٣٣ - ٣٤

الابتلاء

عن علي بن مهزيار قال: كتب إلى أبي جعفر عليه السلام رجل يشكو إليه مصابه بولد له وشدة ما يدخله فقال: و كتب عليه السلام إليه: «أما علمت أن الله عز وجل يختار من مال المؤمن ومن ولده أنفسه ليأجره على ذلك»[1].

جرت سنة الله في ابتلاء الناس وامتحانهم ولا مفر ولا مهرب لمؤمن أو كافر منها ليخرج ما في باطن كل منهما إلى ساحة العلانية واستظهار ما عندهم من الصفات الكامنة كالطاعة والانقياد للأوامر والنواهي أو العفة أو الوفاء أو أضدادها كالمعصية وعدم الانقياد أو غيرها فيتمحض المؤمن إلى الجنة والى النار الكافر هذا في الآخرة وأما في الدنيا فمنها تمييز الطيب عن الخبيث، ويكون الابتلاء في الخير والشر، قال تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2]

---

(١)الكافي ج٣ص٢٤٣ / وسائل الشيعة ج٣ص٢٤٣

(٢) الأنبياء ٣٥

وقال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

والفتنة تكون نتيجة الامتحان والاختبار إنعاما أو استدراجا وبعدا عن الله تعالى، فتنزل بما يتوافق مع رغبات النفس وشهواتها كانفتاح الدنيا على الإنسان بزينتها وزخرفها، وقد تكون الفتنة بما يخالف رغبات النفس وغرائزها وحاجاتها، أو عند رؤيته لمعذب أو يتيم أو فقير معدم وغير ذلك، ونتيجة الابتلاء تخلص الناس على أصناف ثلاثة، صنفين منهم من المرضيّ عنهم، وصنف مغضوب عليهم، وهذه الأصناف الثلاثة وردت في قوله تعالى:

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٢).

فأهل اليمين هم أهل التوجه إلى الآخرة والعمل لها وهم أصحاب السعادة، وأصحاب المشئمة هم أهل الدنيا المطرودون من رحمته الذين استدرجهم الله، وكانت عاقبتهم النار، وأما السابقون فهم النمط الأعلى من أهل السعادة، ولا يتم ذلك إلا بكمال العبودية لله سبحانه وتعالى بأن يكون العبد تابعا محضا في إرادته وعمله لمولاه لا يريد ولا يعمل إلا ما يريده

(١) الأنفال ٢٨

(٢) الواقعة ٧-١٠

مولاه وهو يعبر عنه الدخول تحت ولاية الله، فهؤلاء هم أولياء الله من الأنبياء والأوصياء، فكل الابتلاءات عندهم نعمة من الله، قال تعالى يحكي قول سليمان:

﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (١)

فحين عرف سليمان عليه السلام نعمة الله تعالى في شأنه وعلم أنها صورة الابتلاء قال: هذا من فضل ربي، أي الاقتدار من إحضار العرش في مدة يسيرة من مسافة بعيدة وهي مسافة بين سبأ والشام بلا حركات جسمانية من فضل ربي ونعمائه ليبلوني أأشكر بالإقرار بأن ذلك الفضل له ومنه لا لي ومني وبالإتيان بالثناء الجزيل والذكر الجميل، أم أكفر بترك ذلك الإقرار وعدم ذلك الإتيان، وكثيرا ما كان يبتلي الله أنبياءه وأوصياءه لا لذنب فعلوه ولكن يرفع الله به درجاتهم، ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن رجلا سأله عن بلية أيوب لأي علة كانت؟ فأجابه بما ملخصه: إن هذا الابتلاء لم يكن لكفران نعمة، بل على العكس من ذلك، فإنه كان لشكر نعمة حسده عليها إبليس، فقال لربه: يا رب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدى إليك شكرك، فسلطني على دنياه حتى يتبين الأمر، فسلطه الله عليه ليكون هذا الحادث سندا لكل سالكي طريق الحق،

(١) النمل ٤٠

فانحدر إبليس وأهلك أموال أيوب وأولاده الواحد تلو الآخر، ولكن لم تزد هذه الحوادث أيوب إلا ثباتا على الإيمان وخضوعا لقضاء الله وقدره، فسأل الشيطان الله سبحانه أن يسلطه على زرعه وغنمه فسلطه، فأحرق كل زرعه، وأهلك كل غنمه، فلم يزدد أيوب إلا حمدا وشكرا، وأخيرا طلب الشيطان من الله أن يسلطه على بدن أيوب ليكون سبب مرضه، وهكذا كان بحيث لم يكن قادرا على الحركة من شدة المرض وا لجراحات، لكن من دون أن يترك أدنى خلل في عقله وإدراكه، والخلاصة.. فقد كانت النعم تسلب من أيوب الواحدة تلو الأخرى، ولكن شكره كان يزداد في موازاتها، حتى جاء جمع من الرهبان لرؤيته وعيادته، فقالوا: قل لنا أي ذنب عظيم قد اقترفت حتى ابتليت بمثل هذا الابتلاء؟ وهنا بدأت شماتة هذا وذاك، وكان هذا الأمر شديدا على أيوب، فقال مجيبا: وعزة ربي إني ما أكلت لقمة من طعام إلا ومعي يتيم أو مسكين يأكل على مائدتي، وما عرض لي أمران كلاهما فيه طاعة لله إلا أخذت بأشدهما عليّ، عند ذاك كان أيوب قد اجتاز جميع الامتحانات صابرا شاكرا متجملا يناجي ربه بلسان مهذب، ودعا أن يكشف عنه ضره بتعبير صادق ليس فيه أدنى شكوى: ربي أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، وفي هذه الأثناء فتحت أبواب الرحمة الإلهية، ورفع البلاء بسرعة، وانهمرت عليه النعم الإلهية أكثر من ذي قبل[1].

(١)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٠

طريق السعادة

قال الإمام البر الوفي الجواد عليه السلام:
«من أطاع هواه، أعطى عدوه مناه»[١].

يستطيع كل إنسان يرغب في السعادة الدنيوية والأخروية ويسعى إليها أن يستفيد من عوامل مهمة وهي التعاليم الدينية والعقل والوجدان في تعديل وتهذيب الغرائز والرغبات واستقامة السلوك وعدم اتباع الهوى، فالعامل الأول نجده يصرح بأن اتباع الهوى يؤدي بالإنسان إلى السقوط في مهاوي الفساد والرذيلة، والآيات القرآنية تشير وتصرح بذلك مثل قوله تعالى في سورة النساء:

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾

أو في سورة ص:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

- ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(١)البحار ج٧٥ ص٣٦٤

ونحن نعلم إن سبيل الله هو السبيل الأقوم، وبعدم التمسك بسبيل الله نكون قد دخلنا في طاعة الشيطان وعبادته كما يخبرنا القرآن الكريم ونكون قد نقضنا عهد الله تعالى:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

وفي دخول الإنسان إلى النار يكون سرور عدوه كما جاء في دعاء الإمام زين العابدين: «إلهي إن أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك».

العامل الثاني العقل: فالعقل يحكم بأن عبادة الهوى والانقياد للميول والرغبات توصل المرء إلى أقصى درجات الشقاء والعذاب النفسي الذي يوصله في بعض الأحيان إلى الانتحار أو إلى الجنون في الدنيا فضلا عن شقاء الآخرة وما له من عذاب شديد.

العامل الثالث الوجدان: فهو دليل مودع في باطن الإنسان يدله فطريا إلى جميع أوجه الخير والشر، فالهوى يهوي بصاحبه إلى المهالك ويحجب العقل عن إدراك الحسن والقبح، فيمنع الإنسان عن الحق فيضله عن سبيل الله، وماذا بعد الحق إلا الباطل والضلال، قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (١)

وهذه العوامل الثلاث يجب أن تكون أدوات في يد الإنسان كي تستعد النفس لتحصيل الكمال وتتهيأ لنيل السعادة وبذلك لا يعطي قياده إلى عدوه الحقيقي فيبلغه مناه أعاذنا الله وأياكم منه.

(١)- الكهف - ٢٨

بين طريقين

قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام:
«لا تكن وليا لله في العلانية عدوا له في السر»[١].

هناك خطان متباينان لا يلتقيان متصارعان على امتداد خط الوجود الإنساني، وهما خط أولياء الله المتمثل بالأنبياء والأوصياء وأتباعهم، وخط أعداء الله المتمثل بإبليس وجنوده من المشركين والكافرين والمنافقين ومرضى القلوب، ولكل واحد من هذين الخطين سمات وعلامات تفرق الأول عن الثاني، فمثلا نجد أن أولياء الله سيماهم الصدق في المواقف والأمانة وتوطين النفس عند المصاعب والصبر، والأبرز في صفات أولياء الله حبهم لله سبحانه وتعالى وإيثارهم له على كل شيء سواه مما تتعلق به النفوس من مال أو جاه أو عشيرة أو غيرها، فهم يوالون في الله ويعادون في الله ويحاربون في الله ويسالمون في الله وبسبب هذا السلوك كانوا محبوبين عند الله قال تعالى:

---

(١)أعلام الدين في صفات المؤمنين ص٣٠٩

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (١)

ونتيجة هذا الحب طهرهم من كل قذارة معنوية من كفر أو شرك أو فسق أما عن طريق عصمتهم أو غفران ذنوبهم التي ارتكبوها وتبرئتهم من كل ظلم، وهذه الصفات الرذيلة – الكفر، الشرك،الفسق- هي صفات الخط الثاني المتمثل في إبليس وجنوده التي أشار إليها الباري عز وجل في كتابه المجيد:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾

أو في آيات أخرى، وفئة أخرى من جنود الشيطان الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر وهم المنافقون الذين وصفهم الله بأنهم العدو في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٢)

وهم أنفسهم الذين أحدثوا في دين الله ما لم يكن فيه.

لكن كيف لنا أن نعلم من هم أولياء الله ومن هم أعداؤه؟ حيث

---

(١)المائدة- ٥٤

(٢)- ٤ المنافقون

أن كل الأطراف تدعيها، علينا أن نرجع إلى القول الفصل، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال لبعض أصحابه ذات يوم: «يا عبد الله أحبب في الله وأبغض في الله ووالِ في الله وعاد في الله، فإنك لا تنال ولايته إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس في يومكم هذا أكثرها في الدنيا عليها يتوادّون وعليها يتباغضون وذلك لا يغني عنهم من الله شيئا»، فقال له كيف لي أن أعلم أني قد واليت و عاديت في الله عز و جل؟ و من وليّ الله عز وجل حتى أواليه و من عدوه حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فقال: «أترى هذا»، فقال: بلى، فقال صلى الله عليه وآله: «وليّ هذا وليّ الله، فوالِهِ، و عدو هذا عدو الله، فعادِهِ، ووالِ ولي هذا و لو أنه قاتل أبيك وولدك، وعادِ عدو هذا ولو أنه أبوك و ولدك»[1].

(١)صفات الشيعة ص ٤٦ عن الإمام الحسن العسكري-ع-

المداراة

قال أبو جعفر الجواد عليه السلام: «مَن هجر المداراة قاربه المكروه، ومن لم يعرف المصادر أعيته الموارد، وإنما تكون الشهوات من ضعف القلب، ومن انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة، والعاقبة المتعبة».[1]

من المواضيع الأساسية في صعيد الحياة الاجتماعية أن نتعلم أسلوب معايشة الناس وكيفية مداراتهم، حيث أنه لا يوجد شخصان متفقان بكل اعتقاداتهم وأفكارهم ومشاعرهم وسلوكياتهم، ويمكن الجزم بأن الكاملين من الناس كالأنبياء وأوصيائهم هم فقط في اتفاق تام فيما بينهم، وفي ظل هذه الحقيقة وهي أن الناس مختلفون في عقائدهم ورؤاهم واضطرارنا إلى التعايش في مجتمع متنوع لا بد أن نتعرف على كيفية الانسجام مع الناس، وأن نقيم روابط سليمة مع

---

(١)نزهة الناظر وتنبيه الخواطر ص١٣٥

الإبقاء على الهوية الشخصية لنا، ولا نكون متشددين في طرح عقائدنا، فإن هناك من نهج أسلوب التشدد في طرحه بسبب افتقادهم النضج الاجتماعي، ولم يتعرفوا على أسلوب التعايش مع الآخرين فكانت النتيجة قطع أواصر الارتباط بينهم وبين أصحابهم أو جيرانهم بسبب غفلة في سلوك، فيتوجب على الإنسان المسلم وتأسيا بالنبي الأكرم محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أن يعتمد أسلوبهم في مواجهة الحياة وكيفية حل المشاكل التي تعترضه برفق ولين ومدارات في بعض الأحيان وإن كان في بعض آخر كان ردهم بخلاف ذلك بحسب ما تقتضيه العقيدة والحكمة فمن وصاياهم صلوات الله عليهم نقرأ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتمّ له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يردُّ به جهل الجاهل»[1]، وقال صلى الله عليه وآله: «أمرت بمداراة الناس كما امرت بتبليغ الرسالة»[2]، وعن أبي جعفر الباقر قال: «إن إعرابيا من بني تميم أتى النبي فقال: أوصني فكان فيما أوصاه أن قال له: تحبب إلى الناس يحبوك»[3]، وعن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فأنفوا من قريش، وأيم الله ما كان بأحسابهم

(١) المحاسن ج١ ص٦

(٢) الخصال ص٤٨

(٣) الكافي ج٢ ص٦٤٢

بأس، وإن قوما من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع»، قال: ثم قال: «مَن كفّ يده عن الناس فإنما يكفّ عنهم يدا واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة»[١]،وكانت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء فسقط الإبريق من يدها فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت ا لجارية إن الله تعالى يقول: «والكاظمين الغيظ» فقال: كظمت غيظي، قالت «والعافين عن الناس» قال: عفوت عنك، قالت: «والله يحب المحسنين»، قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله[٢]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عزوجل به موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى اكتم مكتوم سري في سريرتك، وأظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي، ولا تستسب لي عندهم بإظهار مكتوم سري، فتشرك عدوك وعدوي في سبي»[٣].

(١)الكافي ج٢ص١١٨

(٢)امالي الشيخ الصدوق ص٢٦٨

(٣)وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٠٠

القرين

قال الإمام الجواد عليه السلام: «قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعا لما تهواه»[١].

أكد الإسلام على إقامة العلاقات الإنسانية اعتمادا على أسس الخير والصلاح والتي يكون عنصر الربط فيها نابعا من الروح السامية والقلب الصادق لما في تلك العلاقات من أثر بين الأطراف وخصوصا الأخوة في الله التي تترك بصمات واضحة في حياة الإنسان، وحرص حرصا شديدا على تطهيره من كل فساد وانحراف، وذلك لأن للبيئة والمحيط أثرا كبيرا في تربية الشخصية فالبيئة الصالحة تربي أفردا صالحين وعلى العكس من ذلك تكوّن أفراد البيئة الفاسدة، وعليه يجب علينا اختيار الصديق فإن أثر الصديق في سعادة الإنسان وشقاوته قد يكون من أهم العوامل، فقد يؤدي به إلى دركات الشقاء الأبدي وقد تنتشله السعادة الأبدية، وقد أشار القران الكريم إلى تمني الإنسان الهالك في جهنم :

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[٢].

(١)أعلام الدين في صفات المؤمنين ص٣٠٩.

(٢)- الفرقان - ٢٨

حيث يتحسر على اتخاذ الصديق الذي لم يمنعه من ارتكاب الآثام والذنوب، كيف أنّ الإنسان قد يقترب من السعادة، لكنّ وسوسة شيطانية واحدة من صديق سيء تقلبه رأساً على عقب وتقلب مصيره، حيث سيعضُّ على يديه من الحسرة يوم القيامة، وستتعالى منه الصرخات، وقد شدد الأنبياء وأوصياؤهم على الامتناع من مصاحبة أهل السوء كما في حديث الإمام الجواد عليه السلام، ومن وصايا لقمان عليه السلام قال: «يا بني إياك ومصاحبة الفساق، هم كالكلاب إن وجدوا عندك شيئا أكلوه، وإلا ذموك وفضحوك، وإنما حبهم بينهم ساعة»[١]، «يا بني الوحدة خير من صاحب السوء»[٢]، وقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «المرء على دين خليله وقرينه»[٣]، و فيما أنزل على النبي عيسى عليه السلام من الوعظ «يا عيسى، اعلم إن صاحب السوء يغوي، وإن قرين السوء يُردي، واعلم من تقارن، واختر لنفسك أعواناً من المؤمنين»[٤]، ويقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له: «ومن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن كانوا على غير دين الله، فلا حظّ له من دين الله»[٥]، وعلى هذا ينبغي الاختيار كي لا نسلم أنفسنا إلى العدو.

(١)الاختصاص ص٣٣٨
(٢)الاختصاص ص٣٣٧
(٣)الكافي ج٢ ص٣٧٥
(٤)امالي الصدوق ص٦٠٩
(٥)صفات الشيعة ص٦

التأني

قال الإمام أبو جعفر الثاني عليه السلام:

«اتئد تصب، أو تكد»[١].

إن التأني هو عطية إلهية وموهبة ربانية للإنسان، بينما العجلة هي صفة شيطانية تدفع بالإنسان إلى طريق الخسران في حركة الحياة وتضيع عليه الفرص الثمينة، وتكثر اشتباهاته، وتكون عاقبته إلى الندم والهلكة، في حين أن النقطة المقابلة لها، أي التأني والصبر والتدبر يقود الإنسان إلى الفلاح والسعادة والاستفادة الكبيرة من الفرص الثمينة في الحياة الدنيا، فان التؤدة أو الأناة تشكل سمة نفسية تطبع الشخصية الناضجة، على العكس من العجلة التي تفصح عن اضطراب الشخصية، خاصة الشخصية التي تطبعها سمة القلق، والتوصيات الإسلامية حين تعالج هذه المسألة إنما تؤكد انعكاسات الطابع المرضي عندها في سلوك الشخصية المؤمنة، ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

﴿الأناة من الله والعجلة من الشيطان﴾[٢]

(١)بحار الأنوار ج٦٨ ص٣٤٠

(٢)المحاسن ج١ ص٢١٥

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَعَ التَّثَبُّتِ تَكونُ السَّلامَةُ وَمَعَ العَجَلَةِ تَكونُ النَّدامَةُ»(١)، لكن ينبغي هنا أن نضع فارقا بين العجلة بصفتها سمة نفسية مرتبطة باضطراب الجهاز الوظيفي وبين العجلة أو الإسراع في إنجاز الشيء بصفتها طابعا سليما للشخصية العبادية حيث وردت في كتاب الله آيات تذكر أن أنبياء الله كانوا يسارعون في الخيرات، قال تعالى:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (٢)

وقال تعالى:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣)

وفي الحديث النبوي: «اِنّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الخَيْرِ مَا يُعَجَّلُ»(٤)،

---

(١) الخصال ص١٠٠

(٢) الأنبياء ٨٩-٩٠

(٣) آل عمران - ١١٤

(٤) الكافي ج٢ ص١٤٢

قال أحد الحكماء: إنّما الأعمال تأتي بالصبر والتأمل، وليس للمستعجل إلا السقوط، رأيت بأم عيني في الصحراء كيف أنّ المتأني البطيء كان هو السبّاق، وكيف أن الحصان السريع سقط إعياءً، وكيف أن ا لجمل أكمل الطريق بتأنّ.

الثقة بالله

قال الإمام ا لجواد عليه السلام: «الثقة بالله ثمن لكل غال وسلم إلى كل عال».[1]

الثقة بالله وبكفالته وكفايته وعنايته هو الدواء الناجع لطرد المخاوف والأوهام والوساوس التي يلقيها الشيطان في النفس الإنسانية، وهو الركن الوثيق الذي يستند فيه الإنسان بالقدرة اللامتناهية، لكن مع ملاحظة أن العادة جرت على ربط المسببات بأسبابها فيتمسك بالأسباب على قدر الحاجة، والأثر المترتب عليه هو الاعتقاد بأن حصول المطلوب وسببه من توفيق الله تعالى وعنايته، ولا ينافي ذلك تذرع الإنسان

(١)موسوعة أحاديث أهل البيت ج١٢ص١١٩

بالأسباب الطبيعية والوسائل الظاهرية لتحقيق أهدافه ومصالحه كالتزود للسفر، والتسلح لمقاومة الأعداء، والتداوي من المرض، والتحرز من الأخطار والمضار، والتكسب، وأن يغلق الباب من السارق ويتحصن من العدو مثلا ويثق بأن الرزق والحفظ منه تعالى، ولا يتكل على السبب وإنما يتخذه جريا على العادة وهو راض عن ربه وشاكر له إن لم يحصل المسبب بناء على أنه لا يدري في أي شيء هو خيره كما جاء في دعاء الإمام السجاد عليه السلام «ولعل الذي أبطأ علي هو خير لي الخيرة لعلمك بعواقب الأمور» وحافظ مع اشتغاله بالسبب على أوقات الصلوات وغيرها من العبادات حتى يكون من مصاديق الآية الكريمة:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (١)

وبا لجملة يكون مقصوده هو الكفيل الحق وخيرته، ومنظوره هو التشبث بذيل عنايته وإرادته، قال أمير المؤمنين في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «وأ لجئ نفسك في الأمور كلها، إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز»(٢).

وحتى ندفع وسوسة الشيطان من أنفسنا علينا أن نتذكر

(١) النور - ٣٧

(٢)تحف العقول ص٦٩

قصة أم موسى وثقتها بالله حين أوحى إليها ربها أن تلقي فلذة كبدها في البحر، قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١)

ولا شدة أعظم من وضع طفل في بحر كذلك هي شدة على الطفل نفسه لوجوده في البحر وحيدا، فكشف الله سبحانه ذلك عنه بالتقاط آل فرعون له، وما ألقاه في قلوبهم من الرأفة عليه حتى استحبوه، وحرم الله عليه المراضع حتى رده إلى أمه وكشف عنها الشدة في فراقه، وعنه الشدة في وجوده في البحر، قال تعالى:

﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(١) القصص- ٧

الوصول إلى الحوائج

قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام:
«الحوائج تطلب بالرجاء وهى تنزل بالقضاء، والعافية أحسن عطاء»[١].

يولد الإنسان في هذه الدنيا وينشأ في كنف أهله ثم تكون له مآرب ومطالب لمستقبل وجوده وذلك حسب اعتقاده وعمله، فإن كان من أهل الدنيا اقتصر نظره إليها فقط، ولا يلتفت إلى الآخرة وليس له فيها شيئاً، قال تعالى:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً﴾[٢]

وإن كان من أهل الله فنظره إلى دار المستقر والرضوان الأكبر، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾[٣]

(١)أعلام الدين في صفات المؤمنين ص٣٠٩
(٢) الإسراء - ١٨
(٣) الإسراء - ١٩

فيكون همه هو كيفية توظيف نعم الله الظاهرة والباطنة إلى سبيل الوصول، وأما أداته فيها فهي رجاء الله والتسليم المطلق، فإن كل الموجودات هي منه جل وعلا، قال تعالى:

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (١)

فيجب على المؤمن أن يكون مستعدا وقابلا لنزول النعم، ولا نقول هذا الكلام باعتبار أن نعم الباري لا تنزل إلا على المؤمن الشاكر، بل نعمه جل وعلا تشمل جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى:

﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ (٢).

ولكن أين المؤمن الشاكر من الكافر الجاحد؟ فالأول يكون مصداقا لقوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ (٣)

---

١٩ (١)-٢٠-٢١ الحجر

(٢)الإسراء ٢٠

(٣)إبراهيم - الآية - ٧

وأما الثاني فيكون مصداقا لقوله تعالى:

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ، أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (١)

وكلام الإمام الجواد عليه السلام موجه للطائفة الأولى من الناس الذين يعلمون بأن جريان الأمور بيده فإنهم لم يكونوا شيئا يُذكر، ثم خُلقوا من ترابٍ، ثم أودعوا الأصلاب فلم يزالوا ينتقلون من صلب إلى رحم، ثم ابتدع خلقهم من مَنيٍّ يُمنى، وأسكنهم في الظلمات الثلاث، ثم رزقهم في بطون الأمهات ثم أخرجهم إلى الدنيا ورزقهم من غذائه وعطّف عليهم القلوب ودفع عنهم شر الجان وسلّمهم من الزيادة والنقصان، وتستمر ربوبيته لهم فهم يتدرجون في أبدانهم، ونصّب إليهم أعلام الهداية واضحة ومَنّ عليهم بالعقول المميزة، كل ذلك تفضلاً منه، فوعاها ذو الحظ العظيم منهم فكانوا بذلك درجات، ومن أعظم تلك الدرجات هي درجة التسليم المطلق لله عز وجل في حكمه وتلقيه بالقبول ظاهرا وباطنا والرضا بكل ما ورد عليه مما يوجب السرور أو السخط ويوافق الطبع أو يخالفه، قال المحقق الطوسي في أوصاف الأشراف: «نقل إن واحدا من أهل الرضاء مضى له سبعون سنة ولم يقل ليت كان ذاك وليت لم يكن هذا، وسئل أي أثر بلغك من الرضاء قال بلغني شائبة من

(١)-المؤمنون - ٥٦

الرضاء وريح منه ومع ذلك لو جعلني الله صراط جهنم ومر عليّ الخلايق كلهم ودخلوا الجنة ثم أدخلني وحدي في النار لم يخطر ببالي لمَ كان حظي هذا وحظ غيري ذاك»، وانقطاعه عن غيره من الأسباب والمسببات والوسائط بل حتى عن نفسه فإنه يسلب كل حَول وقوّة ويحكم بأن لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وهو مقام عظيم.

وأخيرا أشار الإمام الجواد إلى أحسن وأفضل العطاء وهي العافية والمقصود بها عافية الدين، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يدعو و يقول: أسألك تمام العافية، ثم قال: تمام العافية الفوز با لجنة و النجاة من النار»[1].

(١)كتاب الدعوات ص٨٤

الولي السري

قال البر التقي الجواد عليه السلام: «لا تعادين أحدا حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسنا لم يسلمه إليك، فلا تعاده، وإن كان مسيئا فإن علمك به يكفيكه فلا تعاده»[1].

ليس المؤمنون إلا إخوة، فهم الذين خلصوا عن الشبهات والعصبيات الجاهلية، وأبى لطف حالهم في التماسك والاتحاد.. أن يقدموا ما يتولد منه التقاطع، فبادروا إلى التواصل والائتلاف و قطع ما يقع من ذلك إن وقع، فالعلاقة بين المؤمنين تتسامى إلى درجة تجعل كل واحد من المؤمنين مرآة لأخيه، فإنهم لا يفتأون يصلحون ما فسد من علاقاتهم ببعضهم حتى يعززوا ركائز الإخوة في حياتهم، فينبغي أن يقيس المؤمن إيمانه بمستوى الأخوة التي تطبع علاقته بالمؤمنين الآخرين، فالإيمان الذي لا يرفع المنتمين إليه إلى

(١)الدر النظيم ص٧١٦ الشيخ جمال يوسف بن حاتم بن فوز الشامي المشغري العاملي

حد الإخاء هو إيمان ضعيف وناقص، وينبغي على المؤمن أن يطبق في حياته الاجتماعية رؤى الإسلام في كيفية التعامل مع الآخرين وطريقة الوصول إلى أعلى مستويات الاحترام المتبادل وعلى هذا عرض القرآن الكريم أمره حيث قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

فهذا المخاطب هو المؤمنون الذين وحدوه وأخلصوا له العبادة وصدقوا بنبيه وقبلوا ما دعاهم الله إليه بأن لا يستهزؤوا من الناس، وحتى يبني الإسلام صرحا اجتماعيا متينا يوصينا بأن نكن الاحترام الكافي لإخوتنا فلا يحتقر قومٌ قوماً آخرين ولا نساءٌ نساءً أخريات، وذلك لأن الاستهزاء ينبع من الإحساس بالتكبر وازدراء الآخرين، فقد نهى الدين عن ذلك، وينهانا القرآن عن اللمز وتبادل الألقاب السيئة وسوء الظن والتجسس والغيبة، ويأمرنا بالتقوى لننال الرحمة والعفو، ونستلهم من

(١)- الحجرات -١١-١٢

هذا النص القرآني ضرورة تطهير اللسان من الكلمات البذيئة بشكل عام، وتلطيف الأجواء الاجتماعية بالكلمات الطيبة الحسنة، وعند عدم الانصياع لهذه الأوامر فسيكون سلوكنا سلوكا منحرفا عدائيا، وهذا ما حذر منه إمامنا الجواد عليه السلام وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو يبين مدى عمق الصلة بين المؤمنين، قال: «إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»[١].

ومما يؤسف له إن من المشاكل المستشرية في المجتمع مشكلة سوء الظن بالآخرين، فإنه دائما ما يقدم على الأصل الذي هو حسن الظن بالآخرين، ولاسيما ونحن نتحدث عن العلاقة في المجتمع المؤمن، وتحذير الإمام الجواد عليه السلام لنا جاء حتى يرفع هذا السلوك الخاطئ الذي قد يعرضنا إلى سخط الله ومعصيته كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنه قال: «إن الله عز وجل كتم ثلاثة في ثلاثة، كتم رضاه في طاعته، وكتم سخطه في معصيته، وكتم وليه في خلقه، فلا يستخفنّ أحدكم شيئاً من الطاعات، فإنه لا يدري في أيها رضا الله، ولا يستقلنّ أحدكم شيئاً من المعاصي فإنه لا يدري في أيها سخط الله، ولا يزرأنَّ أحدكم بأحد من خلق الله فإنه لا يدري أيهم ولي الله»[٢].

---

(١) الكافي ج٢ ص١٦٥

(٢)كنز الفوائد ص١٣

القناعة

قال الإمام الجواد عليه السلام: «من استغنى كرم على أهله»، فقيل له: وعلى غير أهله؟ فقال عليه السلام: «لا، إلا أن يكون يجدى عليهم نفعا»، ثم قال عليه السلام للذي قال له من أين قلت؟ قال: «لأن رجلا قال في مجلس بعض الصادقين: إن الناس يكرمون الغني وإن كانوا لا ينتفعون بغناه! فقال عليه السلام: ذلك لان معشوقهم عنده»[1].

للإنسان حاجات ورغبات جسدية ونفسية لا يمكن الجدال عليها و عدم سد هذه الحاجات في وقتها قد تخرج الإنسان عن توازنه فتحدث اضطرابات في حياته، وبما أن الإنسان مركب من جزأين أساسيين هما البدن والنفس، وبما أن النفس هي المسيطرة على البدن وتسوقه حيثما تريد.. فوجب أن تتحلى النفس بفضائل ومكارم الأخلاق، ومن أهم تلك الفضائل هي صفة غنى النفس التي تعني الإعراض عن ما في أيدي الناس

---

(١)نزهة الناظر وتنبيه الخواطر ص١٣٥

والالتجاء والتوكل على المنعم المفضل في كل حاجاته، فإن المتوكل يعتمد على الله ولا يلتجىء إلى غيره من المخلوقين، وهو بذلك ينجو من ذل الطلب، قال الحكماء: لو كان ماءُ الحياة يباع بماء الوجه لما اشتراه العالم، فالموت بالمرض خيرٌ من الحياة بالذلّة»، فهو يعلم أن الله سيغنيه عن التوسل إلى الناس في كل حال وهو أقوى وأقدر على أن يعطيه ما هو أفضل وأكمل وأحسن، ولا تثبت هذه الصفة إلا للذي تختزن نفسه بالثروات المعنوية التي لا يحس معها بالحاجة إلى هذه الدنيا إلا قليلا بلحاظ ما يحتاجه البدن، فإنه يحصل في ظلال معنوياته على غنىً يرافقه مدى الحياة، ولا يعوض مثل هذا الشخص ما لديه من الثروة بثروة المال وا لجمال وا لجلال المادي أبداً.

في وصيّة لمولانا أمير المؤمنين للإمام الحسن صلوات الله عليهما: «وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنّك مدرك قسمك وآخذ سهمك، وإنّ اليسير من الله أكرم وأعظم من الكثير من خلقه، وإن كان كلٌّ منه، فإن نظرت فللّه المثل الأعلى فيما تطلب من الملوك ومن دونهم من السفلة لعرفت أنّ لك في يسير ما تصيب من الملوك افتخارا، وإنّ عليك في كثير ما تطلب من الدناة عاراً»[1]، وأما فقر النفس بمعنى حرصها وشراهتها إلى الدنيا ومتاعها فإن

(١)مستدرك سفينة البحار ج٨ص٣٠

الحريص لا يشبع بجميع ما في الحياة، فالحرص حالة نفسية تدفع بصاحبها على البحث عن الثروة والمنافع المادية مهووسا بها، بحيث تصبح الأمور المالية لديه كقطب يدور عليه رحى أفكاره ومساعيه، إن هذا الميل المادي المشؤوم يعد من عوامل شقاء الإنسان وبؤسه، فهو يبعثه على أن يتوهّم لنفسه سعادة خيالية تجذب انتباهه، فهو يتقيد لذلك بحب المال حتى ينسى كل شيء في سبيله بل يصل الأمر به أن يعتبر الفضائل الأخلاقية والقواعد الإنسانية أوهام وخيال، وهو في كل ذلك يتعمّق في روحه إحساس الحاجة أكثر فأكثر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغني غني النفس»[1]، وفي رد الإمام الجواد عليه السلام «ذلك لأن معشوقهم عنده» أشار صلوات الله عليه أن الناس بكل أصنافهم وتوجهاتهم لهم ميل إلى الكمال الذي لا نقص فيه وهو أمر فطري بأن الإنسان يميل نحو الكمال وينفر من النقص، ولما كان هذا المعشوق خافيا على البعض بسبب انحرافهم توهموه في وجوه عدة، منها المال أو السلطان أو الجاه فترى كل فرد منهم يضعف ويقهر أمام من ظن أن به المطلوب عنده.

---

(١) تحف العقول ص٥٧

طريق النجاة

قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام:
«التحفظ على قدر الخوف»[١].

إن المؤمن الذي كشف له النظر في أحوال الناس فيما سبق وتحقق له الاعتبار والاتعاظ في أن العقوبات التي نزلت بالأمم السابقة من ضعف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوه من ظلم وعدوان كما شهد كتاب الله بذلك:

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ، تِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

فالمؤمن وإن عمل لمدة طويلة فإنه لا يشعر بالرضا من نفسه بل يرى فيها التقصير، ويظل هذا الشعور قائما في ذاته مهما أعطى وعمل وقدم، ومثل هذا الشعور هو من حالات التقوى التي تنمو في النفس الإنسانية المؤمنة، فهي لا يغمرها الإحساس بالفخر والغرور والفرح بالانجاز والعمل، فهذه

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص٣٦٥
(٢) النمل ٥٢ ـ ٥١

القلوب الطاهرة النقية، والنفوس المؤمنة الطيبة المغمورة بالإيمان والصفاء والحب الإلهي، هي التي تدفع صاحبها إلى التسابق والتنافس في فعل الخيرات والعمل الصالح، والتجنب عن المعاصي والتنزه عما يشغل القلب، وتطهير النفس عن ما يتسافل بها من صفات رذيلة كالرياء والعجب والزهو وطول الأمل.

فالمؤمن لا يخلو قلبه من الخوف أبدا، فذكر الله والموت قرين نفسه ومصاحب لفكره كما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا أتت على الرجل أربعون سنة قيل له: خذ حذرك فإنك غير معذور، وليس ابن الأربعين أحق بالحذر من ابن العشرين، فإنّ الذي: يطلبهما واحد وليس براقد، فاعمل لما أمامك من الهول، ودع عنك فضول القول»[(١)]، فعليه أن يعمل ويرجو، وأن لا يعطي لجهل القلب فرصة، فإن القلب وإن كان فيه من مواد الحكمة ولكن فيه للجهل مكان إلا من عصم الله من الأنبياء والأولياء والكاملين من الناس، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أعجب ما في هذا الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة،

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٥٥

وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أستفاد مالا أطغاه الغنى، وإن عضته الفاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد»[1].

إن لنا بالنبي محمد وآله موعظة وأسوة، ونهج والقران يدلنا على الطريق السليم، عن ابن عبّاس: «إنَّ الحَسَنَ وَالحُسَينَ مَرضا، فَعادَهُما رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله في ناسٍ مَعَهُ، فَقالوا: يا أبَا الحَسَنِ، لَو نَذَرتَ عَلى وَلَدِكَ، فَنَذَرَ عَلِيٌّ وفاطِمَةُ وفِضَّةُ ـ جارِيَةٌ لَهُما ـ إن بَرِئا مِمّا بِهِما أن يَصوموا ثَلاثَةَ أيّام، فَشُفِيا وما مَعَهُم شَيءٌ، فَاستَقرَضَ عَلِيٌّ مِن شَمعونَ الخَيبَرِيِّ اليَهودِيِّ ثَلاثَ أصوُعٍ مِن شَعيرٍ، فَطَحَنَت فاطِمَةُ صاعًا وَاختَبَزَت خَمسَةَ أقراصٍ عَلى عَدَدِهِم، فَوَضَعوها بَينَ أيديهِم لِيُفطِروا، فَوَقَفَ عَلَيهِم سائِلٌ فَقالَ: السَّلامُ عَلَيكُم أهلَ بَيتِ مُحَمَّدٍ، مِسكينٌ مِن مَساكينِ المُسلِمينَ، أطعِموني أطعَمَكُمُ اللهُ مِن مَوائِدِ الجَنَّةِ، فَآثَروهُ، وباتوا لَم يَذوقوا إلّا الماءَ، وأصبَحوا صِيامًا. فَلَمّا أمسَوا ووَضَعُوا الطَّعامَ بَينَ أيديهِم وَقَفَ عَلَيهِم يَتيمٌ، فَآثَروهُ. ووَقَفَ عَلَيهِم أسيرٌ في الثّالِثَةِ، فَفَعَلوا مِثلَ ذلِكَ. فَلَمّا أصبَحوا أخَذَ عَلِيٌّ عليه السّلام بِيَدِ الحَسَنِ وَالحُسَينِ وأقبَلوا إلى رَسولِ اللهِ صلّى الله عليه و آله، فَلَمّا أبصَرَهُم وهُم يَرتَعِشونَ كَالفِراخِ مِن شِدَّةِ الجوعِ قالَ: ما أشَدَّ ما يَسوؤُني ما أرى بِكُم! وقامَ فَانطَلَقَ

(١)خصائص الأئمة ص٩٧

مَعَهُـم فَـرَأى فاطِمَـةَ فيْ مِحرابِها قَـدِ التَصَقَ ظَهرُهـا بِبَطنِها وغـارَت عَيناهـا، فَسـاءَهُ ذلِكَ، فَنَـزَلَ جَبرَئيلُ وقـالَ: خُذها يا مُحَمَّـدُ هَنَّـأَكَ اللهُ فيْ أهـلِ بَيتِـكَ، فَأَقـرَأَهُ السّـورَةَ: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِـيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيـدُ مِنكُـمْ جَـزَاء وَلَا شُـكُورًا، إِنَّـا نَخَافُ مِـن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًـا قَمْطَرِيـرًا، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَـرَّ ذَلِـكَ الْيَـوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا»[١].

ومثـل هـذا التوفيـق لا يتحقـق إلا للمخلصـين الخائفـين الراجـين فتنهـال عليهم الرحمات والبركات مـن ربهم ماداموا ماضين فيْ عمل الصالحات وفعل الخيرات، ومادام حسـن الظن بخالقهم تعالى ثابت ومستمر.

(١)أهل البيت في الكتاب والسنة ص٢١

الملكات الأخلاقية

قال الإمام أبو جعفر الثاني عليه السلام:
«سوءُ العادة كمينٌ لا يؤمن»[١].

قبل المحاولة لبيان معنى الحديث الشريف نشرع بشرح ألفاظ الحديث: العادة ما يديم الإنسان فعله من قبل نفسه، وهي على ضربين: اختيار أو اضطرار، فالاختيار كتعود التدخين وما يجري مجراه مما يكثر الإنسان فعله فيعتاده ويصعب عليه مفارقته، والاضطرار مثل أكل الطعام وشرب الماء لإقامة الجسد وبقاء الروح وما شاكل ذلك، الكمين، أي: فيه دغل لا يفطن له، فيقال: كَمِنَ،أي استتر واستخفى»

في هذا الحديث المبارك ينبه الإمام الجواد عليه السلام إلى مسألة في غاية الأهمية حول سلوك الإنسان وتصرفاته وما ينبغي فعله وما ينبغي عليه تركه، فإن واقعية الإنسان هي مجموع اعتقاداته وقناعاته التي يقتنع بها ويعتمدها من خلال الاستدلال عليها أو حتى التي تتبلور بسبب التعصب لرأي

(١)نزهة الناظر وتنبيه الخاطرص١٣٦

معين وأفعاله التي تصدر منه، ولكي تتحقق الملكات لابد للإنسان القيام ببعض الأعمال التي تؤهله إلى حصول تلك الملكات في النفس وبقطع العمل لا يمكن أن تكون في النفس أية ملكة -وإن لم يوجد من يوصف بهذا الوصف-، وهذا الأمر -العمل - لا يختص بالملكات الحسنة وإنما يشمل القسمين من الملكات الأخلاقية سواء كانت حسنة أم سيئة، فلكي يكون المرء جواداً أو عفيفاً أو عادلاً مثلاً عليه أن يكون كريماً معطاءً فيبذل إلى أن يصل إلى درجة أن نفسه لا تتردد ولا يشوبها أي شيء حين العطاء وكذلك بالنسبة للعفة أو العدل، وفي الملكات السيئة فإن المرء لا يكون قاسي القلب إلا إذا مارس عملا يؤدي به إلى ذلك فيتعوّد عليه، وقد أشار الشارع المقدس إلى كراهة بعض الأعمال مثل القصابة لأنها تؤثر في قساوة القلب، جاء في الحديث عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله قد علمت ابني الكتابة ففي أي أسلمه؟ فقال صلى الله عليه وآله: أسلمه لله أبوك ولا تسلمه في خمس: لا تسلمه سباءً «أي الذي يبيع الأكفان» ولا صائغاً ولا قصاباً ولا حناطاً ولا نخاساً»[1].

فالنفس الإنسانية المشار إليها بالأنا أو ما عبر عنها بالواقعية الإنسانية فيها قوى أربع: «القوة الشهوية، القوة الغضبية، القوة العقلية، القوة الوهمية»، فالقوة الشهوية:التي

(١)الوسائل ج١٧ ص١٣٧

بها يطلب الإنسان لنفسه المنفعة من قبيل الأطعمة والأشربة أو المناكحة سواء كان ذلك حلالا أو حراما.

والقوة الغضبية:بها يدفع الإنسان عن نفسه الأذى، فنحن نرى أن الغريق يجاهد في الخروج من الماء بأي طريقة كانت أو حينما يتعرض للضرب نشاهده يدافع بشراسة سواء كان هذا الدفاع حقا أو باطلا.

والقوة العقلية: التي بها يدرك الإنسان المعاني الكلية والحقائق الشريفة وبها يميز بين الخير والشر وبها يمتثل للمعروف ويأمر به، وينتهي عن المنكر وينهى عنه.

والقوة الوهمية هي التي بها يدرك الإنسان المعاني ا لجزئية، وتنقسم على ثلاثة أقسام هي:

- الواهمة: وبها يدرك المعاني ا لجزئية التي ليس لها مادة ولا مقدار مثل حب زيد لأبيه.
- الخيال: وبها يدرك المعاني ا لجزئية التي لها مادة و مقدار مثل صورة زيد عند أبيه.
- والمتخيلة: وهي التي تتصرف بالمعاني من القسم الأول والثاني فتركبها وتفصل فيما بينها.

يقول الشيخ النراقي رحمه الله: «وكل من مدركاتها أما مطابق

للواقع أو مخترع من عند نفسها من غير تحقق له في نفس الأمر، وأما من مقتضيات العقل والشريعة، ومن الوسائل إلى المقاصد الصحيحة، أو من دواعي الشيطان وما يقتضيه الغضب والشهوة، وعلى الأول أن يكون وجودها خيراً وكمالاً، وإن كان وجودها على الثاني شرّاً وفساداً، والحال في جميع القوى كذلك»[١].

والنفس أن تابعت القوة الشهوية بحيث تكون هذه القوة هي المسيطرة سميت النفس «بهيمية» وكذا إن تابعت الغضبية سميت «سبعية» وإن تابعت العقلية المنطقية سميت «ملكية إلهية» وإن تابعت الواهمة وصارت بصدد استنباط المكر والحيل للتوصل إلى الأغراض بالتلبيس والخدع سميت «شيطانية» أعاذانا الله وإياكم.

فالإنسان إذا ثبتت فيه قوة من هذه القوى تصورت نفسه بها ويحشر عليها، وإليك من الروايات مثلا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يحشر المؤذنون يوم القيامة طوال الأعناق»[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يحشر المتكبرون يوم القيامة في خلق الذر في صور الناس يوطئون حتى يفرغ الله من حساب خلقه، ثم يسلك بهم إلى النار يسقون من طينة خبال من عصارة أهل النار»[٣].

(١)جامع السعادات ص٣٥

(٢)وسائل الشيعة ج٥ ص٣٧٤

(٣)وسائل الشيعة ج١٥ ص٣٧٨

وعلى أمثال هذه الروايات توجد روايات أخرى لا يسعنا حصرها في هذا البحث وهي مبثوثة في بطون الكتب، إذن النتيجة النهائية لوجودنا سيكون على ما نعتاد فعله ونتلبس بصفته وإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون العلاج؟ وما هو السبيل الذي يجب أن نسلكه لنتجنب الملكات السيئة والرذيلة؟

للجواب على ذلك نقول أن هنالك علاقة بين العلم والعمل باعتباره أداة للكشف عن واقعية الصفة وآثارها، فيجب التعرف على ماهيات الصفات السيئة من غيرها فنتجنبها، وأفضل طريق للوصول هو كتاب الله سبحانه و تعالى وأحاديث الرسول الأكرم وآله الأطهار سلام الله عليهم أجمعين، ففي القرآن الكريم:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١)

وهو مما أوعد الله عليه بالعذاب لمانعه، وعن ابن بزيع قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لا يجتمع المال إلا بخصال خمس: ببخل شديد، وأمل طويل، وحرص غالب، وقطيعة الرحم، وإيثار الدنيا على الآخرة»(٢)، وهذه الصفات التي ذكرها الإمام هي من الرذائل الخلقية فالحذر الحذر منها.

(١) التوبة - ٣٤

(٢)الخصال ص٢٨٢

وقوله تعالى:

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[١]

إذ روى الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام: «للمُسْرِفَ ثلاث علامات، يشتري ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويأكل ما ليس له». السَّرَف. محرّكة.: ضدّ القصد، وهو الإسراف. كأنّ المعنى: يشتري ما لا يليق بحاله شراؤه، ويلبس ما لا يليق بحاله لبسه، ويأكل ما لا يليق بحاله أكله، وقوله تعالى:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢]

الصعر: ميل في العنق، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، والتصعير إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر وعظمة، كأنه مُعرض، وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر» يعني رذالة الناس الذين لا دين لهم[٣]، «صعّر خده: أماله عجبا وكبرا»[٤].

وعلى هذا فإن إمالة الإنسان عنقه دلالة على إعجابه بنفسه،

(١) الأعراف ـ ٣١

(٢) لقمان ـ ١٨

(٣) كتاب العين ج١ص٢٩٨

(٤) القاموس الفقهي ص٢١١

أو تكبره، فلنتبين معاني هذه الصفات ونتائجها لعلنا نتعظ، فالعجب هو الابتهاج بتصور الإنسان الكمال في نفسه وحسبان نفسه خارجا عن حد التقصير، فنراه يعظم شأن نفسه متوهما أن ما فيه هو من نفسه لا من خالقه وبارئه وقد حذر من هذه الصفة الرذيلة التي هي من أعظم الآفات إمامنا أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام حيث قال: « واعلم أن الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب»[1]، والكبر صفة ذات إضافة، تستدعي مستكبراً به ومستكبراً عليه، فهو يفترق عن العجب المتعلق بالفعل بتغاير المتعلق وعن العجب المتعلق بالنفس، بعدم القياس فيه على الغير، وهذه الصفة من أقبح خصال النفس وأشنعها، ولعل أصل وجودها كالحسد وحب الرئاسة والمال من السجايا المودعة في فطرة الإنسان وزيادتها وتكاملها وتحريكها صاحبها نحو العمل بمقتضاها، تكون باختياره وتحت قوته العاقلة، كما أن معارضتها والسعي في إزالتها أيضاً كذلك، وهي من الصفات التي تورث اغتراراً في صاحبها وفرحاً وركوناً إلى نفسه، ومحل هذه الصفة ومركزها القلب كما يقول الله تعالى: «إن في صدورهم إلا كبر »[2]، وأما عاقبة الكبر فيكفي للبيان عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة: «فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اَللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ اَلطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ اَلْجَهِيدَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اَللَّه سِتَّةَ

(١) البحار ج٧٤ص٢٠٤

(٢) دروس في الأخلاق ص٢٣٣

آلافِ سَنَةٍ لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي اَلدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي اَلْآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَنْ بَعْدَ؟ إِبْلِيسَ؟ يَسْلَمُ عَلَى اَللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلاَّ مَا كَانَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ اَلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ مِنْهَا مَلَكاً إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ اَلسَّمَاءِ وَأَهْلِ اَلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ وَمَا بَيْنَ اَللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى اَلْعَالَمِينَ فَاحْذَرُوا عِبَادَ اَللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ اَلْوَعِيدِ وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ اَلشَّدِيدِ وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي اَلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ اَلْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ اَلْعَصَبِيَّةِ وَفُرْسَانُ اَلْكِبْرِ وَاَلْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى إِذَا اِنْقَادَتْ لَهُ اَلْجَامِحَةُ مِنْكُمْ وَاسْتَحْكَمَتِ اَلطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ».

وفي ختام هذا الحديث توجد صفات سيئة كثيرة رأسها الجهل، وصفات كثيرة تقابلها ورأسها العقل، فمن أراد التخلص من الأولى عليه أن ينزعها ويتجمل بالثانية حتى يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

شكر النعم

قال الإمام الجواد عليه السلام: «نعمة لا تُشكر كسيئةٍ لا تُغفر»[١].

إن الإنسان مستقلا بعقله وبفطرته يبحث عن خالقه وموجده، فهو يعلم أنه لم يكن ثم كان، كان معدوما فوُجِد، قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢]

وهذه الكينونة لم يوجدها هو بل أوجدها غيره، وهذا الغير هو المنعم، ولو التفت إلى نفسه وما حوله من الأنعام لأقرت نفسه، قال تعالى:

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[٣]

ومع عجزه عن إحصاء النعم الإلهية المستوجبة للشكر

---

(١)بحار الأنوار ج٦٨ ص ٥٣

(٢)الانسان١ - ٢

(٣)النحل ١٨

يعترف بالعجز عن أداء الشكر وأداء حقه اللازم عليه مهما بذل من جهد، فكل فعل منه أوترك وحركة أو سكون يصدران منه مستندان في الحقيقة إلى المنعم وهي نعمة من بارئه عليه وقد جاء في الروايات أن النبي داود عليه السلام سأل ربه: ﴿يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك، فأوحى الله إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني﴾[1].

إن شكر النعم الإلهية الظاهرة والخفية هو أحد الواجبات الأساسيّة في العبادة والعبودية، وعلينا أداء هذا الواجب بقدر المستطاع، رغم أن أياً من المخلوقات عظيمها أو حقيرها لا يبلغ حق الشكر لله، والكفران بالنعمة يفضي إلى نتائج سيئة كثيرة في دائرة الماديات والمعنويات في حياة الإنسان، فمن ذلك أنه يتسبب في زوال النعم، قال تعالى:

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

لأن الباري تعالى حكيم، لا يعطي شخصاً شيئاً من دون حساب ولا يسلب أحداً شيئاً بلا مبرر، فالذين يكفرون بالمنعم فلسان حالهم يقول: بأننا لا نليق ولا نستحق هذه النعم، فتوجب الحكمة الإلهية سلب تلك النعم منهم، وأيضا الغفلة عن المنعم يستوجب الالتفات إلى الناس وما عندهم، فتنشأ ناشئة الحسد في نفس الغافل، وأما الذين يشكرون النعم فلسان

(١)بحار الأنوار ج٦٨ ص٣٦

حالهم يقول: إننا نستحق تلك النعم الإلهية فزد علينا يا ربنا، وهنالك آثار كثيرة لشكر النعم وردت على لسان المعصومين عليهم السلام وأفعالهم، وذلك لأن الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لأجل النعمة، سواء أكان نعتا باللسان، أو اعتقادا، أو محبة با لجنان، أو عملا وخدمة بالأركان، وهو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم و إظهار حق النعمة لقضاء حق المنعم كما أن الكفر تغطية النعمة لإبطال حق المنعم»[١]، فمن أقوالهم عليهم السلام في آثار شكر النعم نفهرس:

- تكون جزاءً وسببا لجلب نعم أخرى « الشكر على النعمة جزاء لماضيها واجتلاب لآتيها»[٢].
- الزيادة في النعم ودفع البلوى « عليكم بدوام الشكر ولزوم الصبر فإنهما يزيدان النعمة ويزيلان النقمة»[٣].
- تحرسها من الزوال «ما حُصّنت النعم بمثل الشكر»، «ما حُرست النعم بمثل الشكر»[٤].
- الأمان من النقمة الإلهية «شكر النعمة أمان من حلول النقمة »[٥].

---

(١)الفوارق اللغوية
(٢)غرر الحكم ج١ ص١٩٠
(٣)غرر الحكم ج١ ص١٩٠
(٤)غرر الحكم ج١ ص١٩١
(٥)غرر الحكم ج١ ص١٩٢

وأما آثار ترك الشكر:

- **زوال النعم «إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر»[١].**
- **تارك الشكر كالبهيمة «من لم يشكر الإنعام فليعد من الأنعام»[٢].**
- **قطع صلة التكافل الاجتماعي «قلة الشكر تزهد في اصطناع المعروف»[٣].**
- **يعد في الأشرار «شر الناس من لا يشكر النعمة ولا يرعى الحرمة»[٤].**

وفي أفعالهم صلوات الله عليهم ما ينبئ عن شكرهم لربهم الكثير فإنهم عليهم السلام كانوا أشد الملتصقين بجنابه جل وعلا وإليك مثلا واحدا من شكرهم عليهم السلام، عن أحمد بن عبد الله، عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لي: أشرف على هذا البيت وانظر ما ترى؟ فقلت: ثوبا مطروحا فقال: انظر حسنا، فتأملت فقلت: رجل ساجد، فقال لي: تعرفه؟ هو موسى بن جعفر، أتفقده الليل والنهار فلم

(١)غرر الحكم ج١ ص١٩٢
(٢)غرر الحكم ج١ ص١٩٢
(٣)غرر الحكم ج١ ص١٩٢
(٤)غرر الحكم ج١ ص١٩٢

أجده في وقت من الأوقات إلا على هذه الحالة إنه يصلي الفجر فيعقب إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة، فلا يزال ساجدا حتى تزول الشمس وقد وكل من يترصد أوقات الصلاة، فإذا أخبره وثب يصلي من غير تجديد وضوء، وهو دأبه، فإذا صلى العتمة أفطر، ثم يجدد الوضوء ثم يسجد فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر، وقال بعض عيونه: كنت أسمعه كثيرا يقول في دعائه «اللهم إنك تعلم أنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد»[١]، وفي نهاية الحديث يجب علينا أن نكون من الشاكرين حتى ننال الجزاء، قال تعالى:

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٢]

أما كيف نكون منهم؟ فنقول: مرّ علينا أثناء البحث ما هي حقيقة الشكر وطرقه الثلاث في التعريف السالف الذكر..

فالطريق الأول اللسان: ويتم بالثناء على الله تعالى على ما أولانا من نعم، وأشكاله عديدة منها التحميد، والتمجيد والصلاة على النبي وآله لأنهم من أوصلونا إلى ذلك، عن محمود بن أبي البلاد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل»[٣].

(١) البحار ج٤٨ ص١٠٧

(٢) الزمر ٦٦

(٣) عيون أخبار الرضا ج١ ص٣٧

الطريق الثاني: شكر القلب، وهو معرفة القلب.. فإن ما عندنا من نعمة فهي منه جل وعلا وتفضل بها علينا بلا استحقاق منا قال تعالى:

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (١).

الطريق الثالث: شكرا لجوارح، وذلك بامتثال أوامره جل وعلا والاجتناب عما نهى عنه والإسراع والمبادرة في فعل الطاعات من الواجبات والمستحبات.

(١) النحل ٥٣

حسن الظن

قال الرضي التقي الجواد عليه السلام: «من لم يرض من أخيه بحسن النية لم يرض بالعطية»[١].

إن التوتر الذي يصيب العلاقات بين الناس يكون في أغلب الأحيان بسبب الحكم عليهم أو الاتهام المبني على الاشتباه أو الظن غير السليم، وإن اقتصار النظر على الاحتمال الأسوأ يؤدي في أغلب الأحيان إلى أزمة يصعب الخروج منها إلا بخسائر، منها تكدر القلب وتقلد الإثم وزيادة الهموم وهدر الوقت الذي ينبغي أن يتوجه به العبد إلى ربه وسوء الظن له آثار أخرى لا تقتصر على الفرد الواحد وإنما يمكن أن تمتد إلى المجتمع فيؤدي أتباعه لإشغال المسلمين وصرفهم عن الأهداف السامية والأساسية مثل بناء المؤسسات والمعاهد الدينية والمدارس والمساجد لانعدام الثقة بين الأطراف، ولأجل منع ذلك ينبغي للفرد المسلم أن يتبع التوصيات الإلهية والسنن النبوية وأقوال أئمة الهدى عليهم السلام في ذلك، ففي كتاب الله جل وعلا يأتينا الأمر الإلهي:

(١) الدر النظيم ص٧١٧

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [1]

وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد عرض لنا من خلال حديثه الآتي أن حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة نفسها فلقد روى ابن عباس رضي الله عنه : نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة فقال: «مرحبا بك من بيت ما أعظمك و ما أعظم حرمتك، و الله إن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك، لأن الله تعالى حرّم منكِ واحدة وحرّم من المؤمن ثلاثا دمه وماله وأن يظن به ظن السوء»[2]، وحذرنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من إساءة الظن بالآخرين والشك في نواياهم قائلا: «من تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين»[3]، وأما حسن الظن فهو المرغوب به عند الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحسنوا ظنونكم بإخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب وأثاء الطبع»[4]، وقال الإمام الصادق عليه السلام حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء و سلامة صدره وعلامته أن يرى كلما نظر

---

(١)- الحجرات ١٢

(٢)مجموعة وارم ج١ ص٤٥

(٣)نهج البلاغة ج٤ ص٩

(٤)مصباح الشريعة ص١٧٣

إليه بعين الطهارة والفضل من حيث ركب فيه وقذف في قلبه من الحياة و الأمانة و الصيانة و الصدق[١].

أوحى الله تبارك و تعالى إلى داود عليه السلام: «ذكّر عبادي من آلائي و نعمائي فإنهم لم يروا مني إلا الحسن الجميل لئلا يظنوا في الباقي إلا مثل الذي سلف مني إليهم و حسن الظن يدعو إلى حسن العبادة و المغرور يتمادى في المعصية و يتمنى المغفرة و لا يكون أحسن الظن في خلق الله إلا المطيع له يرجو ثوابه و يخاف عقابه»[٢].

إن الحاجة إلى اكتساب ثقة الإنسان المسلم بأخيه المسلم حاجة ملحة وضرورية، ولأجل الحصول على الثقة بين الأفراد يجب أن يدخل أصل حسن النية في برامج المعاشرات في هذه الحياة، وهذه حقيقة لها الأثر المباشر في سعادة الفرد والمجتمع، إن وجود الثقة بين الأفراد من عوامل اطراد ازدهار المجتمع وتقدمه، والعكس صحيح أيضا، فان فقدان الثقة يؤدي إلى التخلف والانهزام والانحطاط في المجتمع، فكلما كانت العلاقات بين الأفراد أعمق وأكثر كان تقدم المجتمع واطراده أكثر وأسرع، وإن من أولى الثمار الاجتماعية للنظرة المتفائلة هو الائتلاف والتعاون والثقة فيما بينهم، وإنما يمكن التمتع بحياة من نوع التعايش السلمي فيما لو كان التعايش

(١)بحار الأنوار ج٧٢ ص١٩٦

(٢)مصباح الشريعة ص١٧٤

بين الأفراد مبنياً على أسس العلاقات القلبية توأما مع الثقة بالآخرين وحسن الظن بهم، وأما مع فقدان حسن الظن بين الأفراد وانتشار روح التردد والتشكيك فلا يتحقق التعاون بينهم، بل يزاحم بعضهم بعضاً وينتقد بعضهم الآخر بلا مبرر.. ومن المقطوع به إن مثل هذا المجتمع سوف لا يكون مجتمعاً متدينا واقعا، بل تدينه صوريا ظاهريا، فاقدا لما يمكن أن يكون للمجتمع من آثار ونتائج نافعة.

الزهد

قال الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام: «تعز عن الشيء إذا منعته بقلة صحبته إذا أعطيته»[1].

إن سلوك الإنسان في الحياة وتعامله مع الأشياء تؤثر في شخصيته وبناء الجانب المعنوي فيه، لأن كل جزئية من جزئيات حياته ونشاطه لها الأثر في صنع كيانه الروحي، فنحن نرى مثلا، أن الإنسان الشره نفسيته تختلف عن المتوازن في أكله

(١) نزهة الناظر وتنبيه الخواطر ص١٣٧

وشربه، والإنسان الذي يمازح كثيرا ليس له هيبة الإنسان الذي يزن كلامه ويحاسب لسانه، فيلزم على كل إنسان أن يتخذ حدا وسطا يتجنب فيه الإفراط والتفريط، فالنفس الإنسانية هي الأساس وليس الهيكل المادي، ومن المفارقات أن بعض المفاهيم ملتبسة عند أغلب الناس ومنها الزهد حيث يعتقد البعض أن الزهد هو ترك الدنيا والظهور أمام الآخرين بمظهر البؤس والتقشف ولبس الصوف وهذه الشبهة وقع فيها من لم يعرف الإسلام وأهدافه الواقعية فالزهد ليس رهبنة أو تحريم الحلال:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (١)

بل الزهد الحقيقي هو الانصراف عن الانشغال بملاذ الدنيا وعدم اللهاث ورائها واليقين أن ما فيها هو في طور الزوال والانقضاء.

روى الشيخ الكليني في الكافي: «مر سفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا عبد الله عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان فقال: والله لآتينّه ولأوبّخنّه، فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا اللباس ولا علي عليه السلام ولا أحد من آبائك فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في زمان قتر مقتر وكان يأخذ لقتره واقتداره، وإن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها فأحق أهلها بها أبرارها، ثم تلا « قل من حرم

(١) الأعراف - ٣٢

زينـة الله التي أخرج لعبـاده و الطيبات من الرزق « ونحن أحق مـن أخـذ منها ما أعطاه الله غير أني يـا ثوري ما ترى عليّ من ثوب إنما ألبسـه للناس ثم اجتذب يد سـفيان فجرها إليه ثم رفـع الثـوب الأعلى وأخرج ثوبـا تحت ذلك علـى جلده غليظا فقال: هذا ألبسـه لنفسي وما رأيته للناس، ثم جذب ثوبا على سـفيان أعلاه غليظ خشـن وداخل ذلك ثوب لين فقال: لبست هذا الأعلى للناس و لبست هذا لنفسك تسرها »[١].

فأهل الزهد يدعون إلى قصر الأمل في الدنيا وعدم السـكون إليهـا واعتبارها نهاية المطاف، يقـول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما مَثَـلُ مَـنْ خَبَرَ الدنيـا، كمثل قوم سَـفَر نبا بهم منـزِلٌ جديب، فأمُّـوا منزِلاً خصيباً وجَنَاباً مَريعـاً، فاحتملوا وَعْثاءَ الطريق، وفِراق الصَّديق، وخشـونَةَ السَّفرِ، وجُشُوبَةَ المَطْعم، لِيأتُوا سَعَةَ دارِهـم، ومنزِلَ قرارِهم، فليس يجدون لشـيء مـن ذلك ألماً، ولا يـرَوْنَ نفقـةً فيـه مغْرَماً، ولا شـيءَ أحبُّ إليهم ممـا قرَّبَهُمُ من منزلهم، وأدناهم من محَلَّتِهِمْ»[٢]، فالوثوق بالله سبحانه وتعالى أكثر مما في أيديهم يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ليس الزهد في الدنيـا بإضاعة المـال وتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله»[٣]، فالتعلق الشـديد

---

(١)الكافي ج٦ ص٤٤٢

(٢)كشف المحجة لثمرة المهجة ص١٦٣

(٣)مشكاة الأنوار ص١١٣

بملذات الحياة يجعله خائفا هلعا لدى أي تهديد بفقدانها، أما المؤمن الزاهد فلا يقصر نظره إلى الدنيا بل نظره وتطلعه إلى الآخرة والخلود فيها فليس له رغبة في الدنيا إلا بما هي مزرعة للآخرة، في حديث معتبر: «إن رجلاً قال لأبي عبد الله عليه السلام: والله أنا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها فقال عليه السلام: تحب أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي، وعيالي، وأصل بها، وأتصدق منها، وأحج واعتمر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة»[1]، لا يعتريه الحزن عندما يواجه فقدان أي شيء منها لكونه مصداقا لقوله تعالى:

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]

فمن الواضح أنه إذا لم يتعلق القلب بشيء لم يتأثر بالحزن عند فوته، ولا بالفرح عند حصوله فهي لا تستحق الاهتمام عند المؤمن فالخوف والحزن الحقيقي هو ما سيكون إليه مستقبله ومصيره.

مر الإمام الحسن عليه السلام بشاب يضحك فقال: هل مررت على الصراط؟ قال: لا، قال: وهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا، قال: فما هذا الضحك؟ قال: فما روي هذا

---

(١)امالي الطوسي ص٦٦٢

(٢)- آل عمران - ١٥٣

الضاحك بعد ضاحكاً[1]، فالأخطار الواقعية ليس لها وجود في الدنيا وإنما الخطر الحقيقي حين الحساب.

وأخيراً نقول الزهد من أهم صفات الأنبياء والأولياء وأتباعهم وهو عدم تعلقهم بشيء من الدنيا لنفسه أو طمعاً في خلوده، فهم مدركون لحقيقة الدنيا ومتاعها وما فيها، وعاشقون لخالقهم تعالى، راغبون في ثوابه، مقبلون على آخرته التي هي خير وأبقى وبما أنهم وأتباعهم راغبون في الآخرة وفي كل خير يوصل إليها، اختاروا الزهد طريقة في هذه الحياة، لأنهم علموا أسراره وعواقبه.

(١)معارج اليقين في أصول الدين ص٢٦٢

ختاماً

كان الشاعر عبد الله بن أيوب الخريبي منقطعاً إلى الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ومن مواليه، وقد أنشد قصيدة في مدح الإمام ا لجواد عليه السلام بعد وفاة أبيه الرضا يقول فيها:

يا ابن الذبيح ويا ابن أعراق الثرى
طابت أرومته وطاب عروقا
يا ابن الوصي وصي أفضل مرسل
أعني النبي الصادق المصدوقا
ما لف في خرق القوابل مثله
أسد يلف مع الحريق حريقا
يا أيها الحبل المتين متى أعذ
يوما بعقوته أجده وثيقا
انا عائذ بك في القيامة لائذ
أبغي لديك من النجاة طريقا
لا يسبقني في شفاعتكم غدا
أحد فلست بحبكم مسبوقا

يا ابن الثمانيـــة الأئـمة غربـــوا

وأبا الثلاثـة شرقوا تشريـــــقا

إن المشـــارق والمغـــارب أنـــتـــم

جاء الكتاب بذلكم تصديقـا(١)

جعلنـا الله وإياكـم مـن المنقطعـين إلى محمـد وآل محمـد المتثلين لأوامرهم الداعين إلى نهجهم بالقول والعمل..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١)أعيان الشيعة للعاملي ج ٢ ص ٣٢

الفهرس

المقدمة ٣
التوكل ٥
الفطرة ٧
حرم الله ١١
الحاجة إلى الله ١٤
الإسلام وأهله ١٩
الابتلاء ٣٣
طريق السعادة ٣٧
بين طريقين ٤٠
المداراة ٤٣
القرين ٤٦
التأني ٤٨
الثقة بالله ٥٠
الوصول إلى الحوائج ٥٣
الولي السري ٥٧
القناعة ٦٠
طريق النجاة ٦٣
الملكات الأخلاقية ٦٧
شكر النعم ٧٥

حسـن الظـن ٨١

الزهد ٨٤